



دار المنهل

قطرة ماء تروي قصتها

تأليف
إبراهيم غرايبة

رسوم
مؤيد نعمة



اسْتَيْقَظَ خَالِدٌ فِي الصَّبَاحِ، وَحَمَلَ إِبْرِيْقَ الْمَاءِ لِيَسْقِيَ الْوُرُودَ فِي
الشَّرْفَةِ، فَلَا حَظَّ قَطْرَاتِ مَاءٍ مُتَساقِطَةً عَلَى أَوْرَاقِ الْوُرُودِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ
يُلَاحِظْ أَثَرًا لِلْمَطَرِ، وَكَانَ الْفَصْلُ
صَيْفًا، فَتَعَجَّبَ كَثِيرًا وَقَالَ لِنَفْسِهِ:
مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ قَطْرَاتُ الْمَاءِ هَذِهِ؟



قَطْرَةٌ



شَرْفَةٌ



وَرْدٌ



إِبْرِيْقٌ

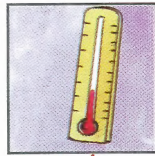
سَمِعَ خَالِدٌ قَطْرَةَ الْمَاءِ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ: مَرْحَبًا. أَنَا قَطْرَةُ نَدَى،
كُنْتُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ بُخَارًا فِي الْجَوِّ، وَعِنْدَمَا انْخَفَضَتْ
دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ بَعْدَ مُتْتَصِفِ اللَّيْلِ
تَحَوَّلْتُ إِلَى قَطَرَاتِ مَاءٍ سَائِلَةٍ،
وَسَقَطْتُ عَلَى وَرُودِكَ.



٣



سَائِلٍ



مِيزَانُ حَرَارَةٍ



بُخَارٍ



نَدَى

إِنَّ قِصَّتِي طَوِيلَةٌ جِدًّا لَا تَنْتَهِي، وَلَوْ بَقِيَْتُ أُحَدِّثُكَ عَنْ رِحْلَاتِي
لَا مُضَيَّتُ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً، بَلْ أَيَّامًا
وَلَيَالِي. . كُنْتُ جَلِيدًا فِي أَقْصَى
الشَّمَالِ الْبَارِدِ، وَعِنْدَمَا تَنْخَفِضُ
دَرَجَاتُ الْحَرَارَةِ كَثِيرًا
أَتَحَوَّلُ إِلَى كُتْلَةٍ جَلِيدَةٍ
صَلْبَةٍ.



وَفِي الصَّيْفِ سَطَعَتِ الشَّمْسُ، وَبَدَأَ الثَّلْجُ يَذُوبُ وَيَتَحَوَّلُ إِلَى

سَائِلٍ، فَتَدَفَّقَتْ مَعَ قَطَرَاتِ الْمَاءِ فِي السُّيُولِ وَالْأَوْدِيَةِ، حَتَّى

وَصَلْنَا إِلَى بَحْرٍ وَاسِعٍ جَدًّا، وَصِرْتُ مَاءً مَالِحًا.

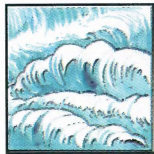
٥



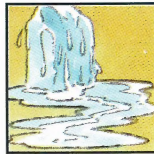
بَحْرٌ



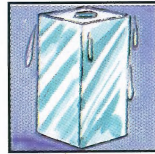
وَادٍ



سَيْلٌ

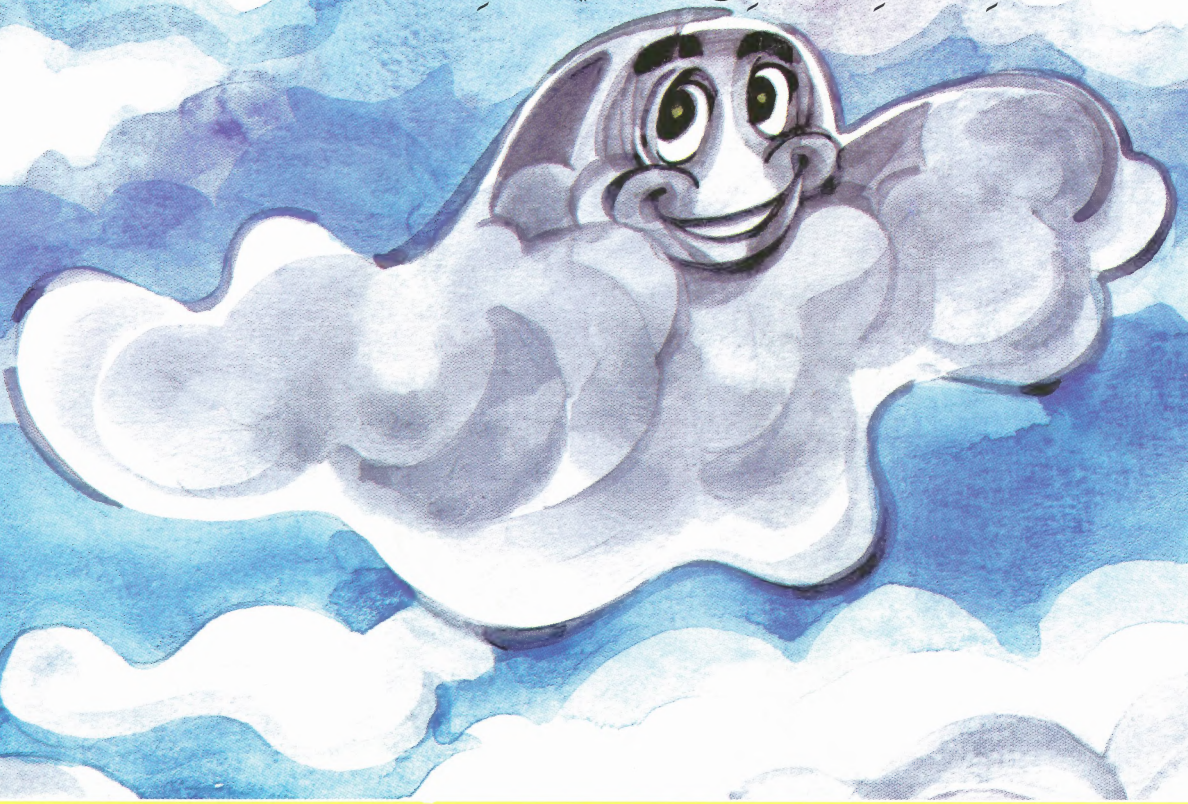


يَذُوبُ



ثَلْجٌ

وَتَبَخَّرَتْ بِسَبَبِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ الدَّافِئَةِ، فَصِرَتْ بُخَارًا يَصْعَدُ فِي الْجَوِّ
عَالِيًا، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى طَبَقَةٍ بَارِدَةٍ فِي الْجَوِّ، فَتَحَوَّلَتْ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى
قَطْرَةِ مَاءٍ، وَكَوْنَتْ مَعَ رَفِيقَاتِي مِنْ قَطَرَاتِ الْمَاءِ غَيْمَةً كَبِيرَةً فِي الْجَوِّ،
مَلِيئَةً بِالْمَاءِ الْعَذْبِ، لِأَنَّ الْمِلْحَ يَبْقَى فِي الْبَحْرِ وَلَا يَتَبَخَّرُ.

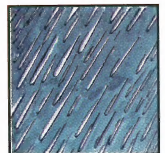


مِلْحٌ



غَيْمَةٌ

سَاقَتِ الرِّيحُ غَيْمَتَنَا إِلَى بِلَادٍ بَعِيدَةٍ، وَبَقِيَْنَا أَيَّامًا وَلَيَالِي نَسِجُ فِي الْفَضَاءِ،
وَتَنَضَّمُ إِلَيْنَا قَطْرَاتُ مَاءٍ وَغُيُومٌ أُخْرَى، حَتَّى صَرَرْنَا غُيُومًا
مُتْرَاكِمَةً ثَقِيلَةً، لَا تَقْدِرُ الرِّيحُ
أَنْ تَحْمِلَهَا، فَسَقَطْنَا مَطَرًا
غَزِيرًا عَلَى الْجِبَالِ
وَالسُّهُولِ.



وَصَلَتْ إِلَى الْأَرْضِ، وَنَزَلَتْ فِي التُّرَابِ، فَلَقَيْتَنِي بِذُرَّةٍ مُلْقَاةٍ فِي
الْأَرْضِ، كَانَتْ حَبَّةَ شَعِيرٍ جَافَّةً، فَدَخَلْتُ فِيهَا، وَصَارَتْ بُرْعُمًا، ثُمَّ
سُنْبُلَةً مَلِيَّةً بِحَبِّ الشَّعِيرِ. وَبَقِيَتْ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْحَبَّاتِ أُسَابِيعَ
عِدَّةٍ، وَكَانَتْ اسْتِرَاحَةً هَادِئَةً لِي.



سُنْبُلَةٌ



بُرْعَمٌ



شَعِيرٌ



بَذْرَةٌ



تُرَابٌ

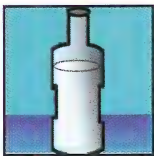


وَفِي يَوْمٍ مِّنَ الْأَيَّامِ التَّقَطَّ طَائِرٌ حَبَّةَ الشَّعِيرِ، وَطَارَ بِي بَعِيدًا،
فَأَمْضَيْتُ فِي جَوْفِهِ سَاعَاتٍ، وَسَرْتُ فِي دَمِهِ، ثُمَّ خَرَجْتُ عَرَقًا
عَلَى رِيشِهِ، وَتَبَخَّرْتُ فِي الْجَوِّ مَرَّةً أُخْرَى حُرَّةً طَلِيقَةً.

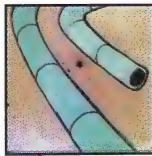
كَانَ الْجَوُّ حَارًّا، فَبَقِيتُ بُخَارًا فِي الْجَوِّ يَمْضِي بَعِيدًا، وَيَرْتَفِعُ فِي
السَّمَاءِ. ثُمَّ مَضَتْ بِي الرِّيحُ إِلَى جِبَالٍ عَالِيَةٍ بَعِيدَةٍ، يَنْبَعُ مِنْهَا نَهْرٌ
مَاءٌ كَبِيرٌ، وَالْأَمْطَارُ تَسْقُطُ هُنَاكَ كُلَّ يَوْمٍ، فَزَلْتُ إِلَى النَّهْرِ، وَسَرْتُ
فِي مَجْرَاهُ مَسَافَةً طَوِيلَةً. وَكَانَتْ رَحْلَةٌ جَمِيلَةً فِي
الْغَابَاتِ وَالْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ. لَقَدْ أَحْبَبْتُ
ذَلِكَ النَّهْرَ كَثِيرًا.



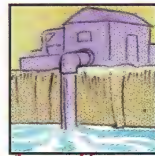
وَلَكِنَّ سَعَادَتِي لَمْ تَدُمْ طَوِيلًا، فَقَدْ اعْتَرَضَ النَّهْرَ سَدٌّ هَائِلٌ، وَالْمَاءُ
وَالْأَنْهَارُ لَا تُحِبُّ السُّدُودَ. وَدَخَلْتُ فِي مَحْطَةٍ ضَخَّ لِلْمِيَاهِ، تَسْحَبُ
الْمَاءَ فِي أَنْبِيبَ إِلَى الْمَدْنِ، وَسَرَتْ تَائِهَةً فِي شَبَكَاتِ الْمِيَاهِ، لَا أَعْرِفُ
إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ، حَتَّى وَجَدْتُ نَفْسِي فِي قَارُورَةِ مَاءٍ، وَشَرَبَنِي أَحَدُ
الْأَشْخَاصِ، كَانَ قَدْ أَكَلَ سَمَكًا كَثِيرًا،
وَاتَّبَعَ ذَلِكَ بِالْحُلُوى وَالْفَوَاكِه.



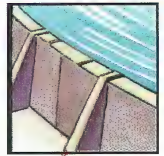
قَارُورَةٌ



أَنْبِيبٌ

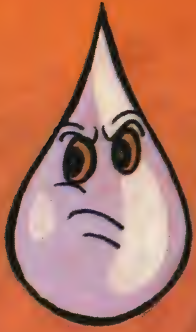


مَحْطَةٌ ضَخَّ

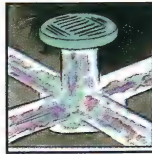


سَدٌّ

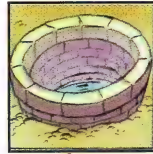
وَالنَّاسُ فِي الْمَدِينِ يَهْدِرُونَ كَثِيرًا مِنَ الْمَاءِ، وَيَسْتَهْلِكُونَ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ
حَاجَتِهِمْ، وَيُضَيِّعُونَ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْهُ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ، لِمَاذَا لَا تَحْفَرُ يَا
خَالِدُ فِي بَيْتِكُمْ بئرَ مَاءٍ؟ لَقَدْ أَمْضَيْتُ فِي الْمَدِينَةِ أَسْوَأَ رِحْلَةٍ فِي
حَيَاتِي، حَتَّى سَقَطْتُ فِي شَبَكَةٍ صَرَفٍ لِلْمِيَاهِ، وَاخْتَلَطْتُ بِقَاذُورَاتٍ
وَفَضَالَاتٍ وَمَوَادٍّ كَثِيرَةٍ.



فَضَالَاتٍ



شَبَكَةُ صَرَفٍ



بئرَ



يَهْدِرُ الْمَاءَ



وَلِحُسْنِ حَظِّي فَقَدْ أَنْقَذْتَنِي شَجَرَةٌ «كِينَا» ضَخْمَةٌ،
كَانَتْ مَزْرُوعَةً فِي طَرِيقِ الْمَجَارِي، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ
يَزْرَعُونَ الْأَشْجَارَ الْحَرَجِيَّةَ فِي مَسَارَتِ الْمِيَاهِ،
وَمَصَبَّاتِ مِيَاهِ الْمَجَارِي لَتَخَلَّصُوا
مِنَ التَّلَوُّثِ.



تَلَوُّثٌ



مَجَارِي الْمِيَاهِ



أَشْجَارُ حَرَجِيَّةٍ

وَهَكَذَا صَرَتْ قَطْرَةٌ نَظِيفَةٌ، وَسَرَتْ فِي عُرُوقِ الشَّجَرَةِ الرَّائِعَةِ، ثُمَّ
وَصَلَتْ إِلَى أَزْهَارِهَا. وَجَاءَتْ نَحْلَةٌ فَحَطَّتْ عَلَيْهَا، وَأَخَذَتْ مِنْهَا
الرَّحِيقَ، وَمَضَتْ بِهَا مَعَ الرَّحِيقِ إِلَى طَرَفِ صَحْرَاءَ بَعِيدَةٍ لَا يَعْرِفُهَا
النَّاسُ. مَا أَجْمَلَ أَنْ تَكُونَ عَسَلًا يَا عَزِيزِي!



عَسَلٌ



صَحْرَاءُ



رَحِيقٌ



أَزْهَارٌ

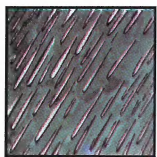


عُرُوقٌ

كَانَ خَالِدٌ مُسْتَعْرِقًا، يَسْتَمِعُ إِلَى قَطْرَةِ الْمَاءِ وَقَدْ نَسِيَ نَفْسَهُ، حَتَّى أَيْقَظَهُ
صَوْتُ أُمِّهِ مُنَادِيًا: هَيَّا يَا خَالِدُ، تَعَالَ تَنَاوَلْ فُطُورَكَ لِتَذْهَبَ إِلَى
الْمَدْرَسَةِ، لَقَدْ تَأَخَّرْتَ فِي الشَّرُفَةِ. رَجَعَ خَالِدٌ إِلَى الْغُرْفَةِ وَقَالَ لِأُمِّهِ:
أُرِيدُ أَنْ أَحْفِرَ بُئْرًا أَمَامَ بَيْتِنَا.

ضَحَكَتْ أُمُّ خَالِدٍ وَقَالَتْ: هَيَّا، لَا وَقْتُ لِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ.
وَمَضَى خَالِدٌ إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَهُوَ
يُفَكِّرُ كَيْفَ يَحْفِرُ بُئْرًا لِيَجْمَعَ الْمِيَاهُ.

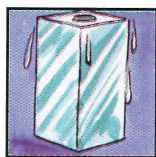




مَطَرٌ



غَيْمَةٌ



ثَلْجٌ



سَائِلٌ



نَدَى



بُخَارٌ



قَطْرَةٌ



بَحْرٌ



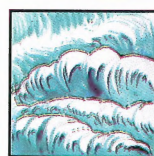
نَهْرٌ



جَبَلٌ



سَهْلٌ



سَيْلٌ



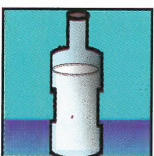
وَادٍ



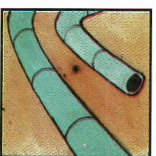
إِبْرِيْقٌ



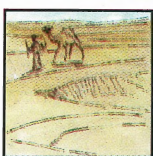
رَدٌّ



قَارُورَةٌ



أَنْابِيْبٌ



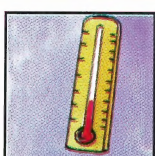
صَحْرَاءُ



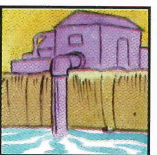
تَرَابٌ



مِلْحٌ



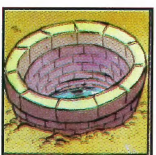
مِيزَانُ حَرَارَةٍ



مَحْطَةُ ضَخٍّ



سَدٌّ



بَثْرٌ



سَنْبَلَةٌ



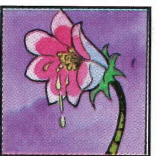
بَرْعَمٌ



شَعِيرٌ



بَذْرَةٌ



رَحِيقٌ



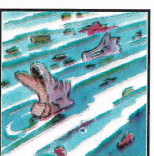
أَزْهَارٌ



عُرُوقٌ



فَضَلَاتٌ



تَلَوْثٌ



مَجَارِي الْمِيَاهِ



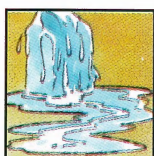
شَبَكَةُ صَرْفٍ



أَشْجَارُ حَرَجِيَّةٍ



يَهْدُرُ الْمَاءُ



يَذُوبُ



شَرْقَةٌ



عَسَلٌ